PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8): 850-860
ISSN: 1553-6939

A reading of Gayathri Chakravorty Spivak's postcolonial discourse through her essay "Can the Subaltern Speak?"

Dr. moussoud Reguia [1*]
[1:] university of El University Center of Mersli Abdellah, Tipaza (Algeria), moussoud.reguia@cu-tipaza.dz

Received: 09 /08/2024 ،Published: 31/08/2024

ABSTRACT:

Through a meticulous reading of postcolonial theorist Gayatri Spivak's seminal essay, "Can the Subaltern Speak?", this study aims to focus on the key ideas, philosophical concepts, and historical experiences that underpinned colonial discourse. By employing a Derridean deconstructive methodology, this research seeks to interrogate colonial history and undermine its ideological and exclusionary underpinnings of the subaltern. This approach allows for a re-reading and critique of British colonial history, deconstructing its discourses. Ultimately, this study seeks to answer the problematic question: Were the colonized peoples, who were denied the right to speak, able to represent themselves? The findings reveal that the voice of the subaltern was instead represented through the voices of elite intellectuals who, in turn, colluded with colonial discourse to serve their own interests.

Keywords:
Discourse, Postcolonial, Gayatri Chakravorty Spivak, Subaltern, Colonialism

قراءة في الخطاب ما بعد الكولونيالي للناقدة غياتري شاكرافورتي سبيفاك من خلال مقالها "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟"

د. موسود رقية*[1]

[1] المركز الجامعي مرسلي عبد الله -تيبازة-(الجزائر)، مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية التعلمية بالجزائر،

moussoud.reguia@cu-tipaza.dz

الملخص:

هدفت هذه الدراسة من خلال قراءة تمحيصية لمقال المنظرة ما بعد الكولونيالية غياتري شاكرافورتي سبيفاك "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟" التركيز على أهم الأفكار، والمقولات الفلسفية، والأنساق التاريخية التي أسس لها الخطاب الكولونيالي، والذي اعتمدت فيه على منهجية تفكيكية دريدية؛ بغية مساءلة تاريخ الخطاب الاستعماري وتقويض خلفياته الأيديولوجية، والاقصائية للتابع، بحيث سمحت لها بإعادة قراءة التاريخ الاستعماري البريطاني ونقده وتفكيك خطاباته، وذلك للإجابة على السؤال الاشكالي؛ هل تمكنت الشعوب التي خضعت للاستعمار، وسلب منها حق الكلام من تمثيل نفسها؟ وقد خلصت النتائج إلا أن صوت التابع تمّ تمثيله من خلال أصوات المثقفين النخبة التي تواطأت هي الأخرى مع الخطاب الكولونيالي، بهدف خدمة مصالحها.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب، ما بعد الكولونيالي، غياتري شاكرافورتي سبيفاك، التابع، الاستعمار.

1- مقدّمة:

تعد الناقدة غياتري شاكرافورتي سبيفاك من المنظرين للخطاب ما بعد الكولونيالي، وتكمن أهمية مشروعها في موسوعية أفكارها، وكثافة مصطلحاتها، وجرأتها النقدية في إعادة قراءة أرشيف التاريخ الكولونيالي السردي، الذي تم فيها تهميش الآخر. حيث تعود بدايات هذا التّمثيل إلى الخطابات الكولونيّالية التي أسّست لها الّثقافة الامبرياليّة الغربية في كتبها التاريخية، ورحلاتها الاستكشافية، ورواياتها الأدبية التي تركت هذه الأخيرة تأثيرا بالغ الأهمية على ذهنيات الشعوب المستعمرة، التي تغلغل هذا الخطاب في ذاتها المفكرة، وأصبحت تسير وفق مضمراته متجاهلة ذاتها الأصلانية، ومتمسكة بالصور التمثيلية التي تكفل الآخر بتقديمها بدلا عنها. حيث قامت ببحث معمق في التاريخ البريطاني للهند لكشف كل أشكال الاقصاء والتهميش والهيمنة التي تعرضت لها الفئات المهمشة، والتي عانت منها هي شخصيا في بلدها الهند من قبل الاستعمار البريطاني.

وقد ركزت سبيفاك في مقالها "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟ على الخلفيات التاريخية، والاقتصادية، والثقافية التي منعت التابع من الكلام، وعن إمكانية استعادة قدرة الشعوب التي كانت مستعمرة من تمثيل نفسها وحقها في الكلام، بعدما سلب منها ذلك. وخاصة نساء العالم الثالث، باعتبارها نسوية ماركسية تفكيكية؛ لتجيب عن هذا السؤال الاشكالي الذي كتب بصيغة الانكار والنفي وتحديد إجابة واضحة لإمكانية الشعوب المهمشة خاصة تلك الطبقات التي عانت من التهميش والاقصاء كالفلاحين والعمال والمرأة السمراء (الساتي.)

1-2الإشكالية:

ومن سؤال هذا المقال المعنون أتت إشكالية الدارسة ملائمة للطرح الذي بحثت فيه سبيفاك عن إيجاد حلول، أو جواب له، ومن هذا المنطلق نطرح السؤال الاشكالي التالي: هل تم توفير الظروف المناسبة للتابع لاستعادة حقه في الكلام؟

وتفرع عنه تساؤلات فرعية تخدم فحوى السؤال الإشكالي:

-ماهي المرجعيات الفلسفية التي اتكأ عليها مقال سبيفاك؟

-هل هناك حقا خطاب لتمثيل التابع؟

-ما مدى حقيقة تمثيل النخب المثقفة لصوت التابع؟

-وهل نجح الخطاب الاستعماري في تغيير ثقافة المستعمر ونظرته لنفسه؟

ولمناقشة هذه الإشكالية طرحت بعض الفرضيات من أهمها:

-سبيفاك منظرة نسوية تفكيكية ما بعد كولونيالية

-النخب المثقفة التي تحدثت بصوت التابع مثلت رغباتها على حساب صوت التابع.

-صمت التابع هو نتيجة مخطط كولونيالي خارجي، مع تواطئ داخلي، وذلك ما جعله مسيطرا على ثقافة الشعوب المهمشة.

-المرأة الساتي لم يكن لها حق الكلام لأن إرادتها في الموت هي لغة مقاومة في حد ذاتها.

1-3 أهداف الدارسة:

تهدف هذه الدراسة إلقاء الضوء على دراسات التابع التي تمكنت من تقديم وجهة نظر أخرى في قراءتها للتاريخ الاستعماري المؤسس على أسلوب الهيمنة والاقصاء، وذلك بغية معرفة المرجعيات التاريخية، والخلفيات الأيديولوجية، والاقتصادية، والرؤى الفلسفية التي انطلق منها رواد الدراسات ما بعد الكولونيالية وعلى رأسهم غياتري سبيفاك التي اختارت منهجية تفكيكية دريدية تكشف من خلالها غياب أصوات المهمشين.

2. المرجعيات الفلسفية للفكر السبيفاكي:

لقد هيأت غياتري تشاكرافورتي سبيفاك Gayatri Spivak في هذا المقال الأرضية الفلسفية للرد على الخطاب الاستعماري؛ باستجماعها لأهم مقولات المنظرين في الدراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية، حيث كانت مواقفهم وكتاباتهم نقطة تحول فاصلة في فكفكة الخطاب الاستعماري الذي أفرزته حركات التحرر المناهضة للاستعمار، والأصوات الرافضة للثقافة الإمبرياليّة بكلّ أشكالها. وكان من أهم الأسماء في هذا الحقل "ادوارد سعيد Said Edward " المبشر الأول بالخلفيات الأيديولوجية للاستعمار، والتي حذّر فيها من أشكال الهيمنة الثقافية للخطاب الكولونيالي، وكشف عن كلّ أنساقها الثّقافيّة المضمرة المبثوثة في السرديّات الغربية. وقد تأثرت سبيفاك أيما تأثر بزميلها "إدوارد سعيد Said Edward" في كشفه للخطابّات السّردية المضمرةّ التي اكتست بها الروايات الغربيّة أين حاولت تمثيل الشرقيّ وتشويه صورته، من خلال الثنّائيات لإحداث مفارقات جوهرية بين الشرق والغرب، الأبيض والأسود، المركز والهامش، الدوني والمتفوق.

بالإضافة إلى "فرانز فانون Frantz Fanon" الذي كان له الفضل في تحدّي الخطاب الاستعماريّ بنقده وتفكيك خطاباته، والسعي لخلق هويّة مضادة ترّد بالكتابة على الخطاب الكولونيآلي معتمدا على التحليل السايكولوجيّ لذهنية المستعمر، والسعي بالخروج من النّظرة الدونيّة التي ترسخت في فكر الرجل الأسود الذي حاول تمثيل نفسه بالثقافة البيضاء، ليشعر بشعور الاستحقاق والحضور والقبول من الآخر، وكذلك "أنطونيو غرامشي Antonio Gramci" في نقده للرأسمالية البرجوازية، وتركيزه على طبقات المهمشين من الفلاحين والعمال، دون أن ننسى قراءتها الجادة للأصول الفلسفية الماركسية الكلاسيكية منها والحديثة التي استعانت بها في نقدها والرد من خلالها على الاستعمار البريطاني، وعلى الثقافة الهندية النخبوية التي ألغت اعترافها بتاريخ الهند الشفوي، وتاريخ النساء المضطهدات، واكتفت بتمثيل أصواتهم خدمة لمصالح السياسة البريطانية.

وتابعت مسيرتها النقدية في هذا المقال، باختيارها للاستراتيجية التفكيكية عند فيلسوف التفكيك "جاك دريدا Jacques Derrida"، ولكنها تأثرت بمن هو قبله الناقد بول دي مان الذي أشرف على اطروحتها في الدكتوراه وكان هو الآخر أحد أعلام التفكيكية في جماعة "ييل YAll" ومنذ ذلك الوقت تركت الاستراتيجية التفكيكية لتاريخ المستعمرات تأثيرها في فكر سبيفاك، وطريقة قراءتها النقدية للخطابات الكولونيالية، وللمخطط الثقافي الامبريالي على شعوب العالم الثالث؛ وبالأخص موطنها الهند مع أقرانها من رواد "دراسات التابع Subaltern Studies" (رناجيت جوها Ranajit Guha-هومي بهابها Homi Bhabha) التي عملت معهم في بحثها عن قضايا الهوامش "وقد اعتمدت على أسماء كل هؤلاء المفكرين قصد فهم علاقات السلطة المعاصرة، ودور المثقف داخلها، الذي يتطلب دراسة لتقاطع نظرية التمثيل والاقتصاد السياسي للرأسمالية العالميّة" (سبيفاك، 2020، ص07) وذلك ما يميز مقالها المكثّف بمصطلحاتها العلميّة، وطريقتها النّقدية العابرة للتخصصات، والتي تغوص في عمق الخلفيات التاريخية، ومضمراتها الأيديولوجية.

ولذا فإن الدراسات ما بعد الكولونيالية فتحت المجال لبروز فلاسفة بحجم غياتري سبيفاك التي حاولت في مشروعها التفكيكي الماركسي تسوية وضعية الهوامش من جذورها الكولونيالية، التي خاضت غماره بالتنويع في كشف أصول هذه الخطابات من مختلف العلوم الإنسانية؛ كالتحليل النفسي، والتاريخ، وعلم الاجتماع والأدب والسياسة والفلسفة؛ وهنا تكمن أهمية أفكار سبيفاك النقدية التي تخلّت فيها عن الصرامة النّقدية، والالتزام بالتخصص الأكاديمي، واتجهت إلى كشف تاريخ المستعمرات وأرشيفها الدموي، ولغتها الجمالية المضمرة التي استعملت فيها مختلف أساليب الهيمنة الخطابية، وأدوات التسلط فكانت بدايتها ببلدها الهند الذي شهد احتلالا بريطانيا على مستوى الثقافة الهندية، تاريخها، لغتها، وتهميش طبقاتها من الفلاحين والعمال والنساء.

ولا مناص من التذكير بدور سبيفاك في مكافحة تهميش المرأة؛ فهي تعتبر منّظرة نسويّة للدراسات ما بعد الكولونيّالية، فقد

حاربت السّلطة الذكوريّة بثقافتها المتوارثة التي ألغت فيها دور المرأة ومكانتها في المجتمع الهندي، وفي بلدان العالم الثالث. " ولذا فقد تنقلت من مختلف الآليات المنهجية، والتيارات النقدية الما بعدية ممثلة في؛ البنيوية، الحداثة، التاريخ الكولونيالي، ومن دلولوز إلى فوكو ودريدا ورناجيت جوها، واعتمدت على عديد النصوص السردية التاريخية منها والأدبية، بالإضافة الى النصوص المقدسة من الهندوسية، مقدمة مقالا ثريا؛ للإجابة عن إشكالية مقالها الرئيسية هل يمكن للتابع أن يتكلم؟" (سبيفاك، 2020، ص 8) وبالرجوع لهذا المقال الذي قدمته سبيفاك في أثناء تواجدها لمؤتمر الماركسية وتفسير الثقافة الذي انعقد سنة 1983ثم تم نشره فيما بعد سنة 1988 ولأهمية الأفكار الواردة فيه تناولته العديد من المجلات النقدية، وأجريت عليه عديد البحوث والدراسات الأكاديمية، ولذا يعتبر عمر أزارج أن "ما يميز فكر سبيفاك عن بعض المفكرات النسويات؛ مساهمتها الجادة في تشكيل نظريات التحرر النسوي، بالإضافة إلى اهتمامها بالدراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية من حيث بنيتها الثقافية وسياقها التاريخي فهي تحارب على جبهتين؛ جبهة بقايا التأثيرات الاستعمارية في العالم المستعمر سابقا، وما يحدث من تهميش للمرأة في العالم الثالث من جهة أخرى" (عمر، 2023، ص09).

1.2سبيفاك في مواجهة ميشال فوكو وجيل دولوز:

انطلقت سبيفاك في مقالها من نقطة أساسية وهو نقد موضوع مركزية الغرب التي سعى لإظهارها، وتكوينها، وانتشارها مجموعة من الاستراتيجيات المهيمنة على الخطاب الكولونيالي؛ ممثلة في الإنتاج الغربي لأهم مفكريه وفلاسفته، الذين منحوا للإنسان الأبيض الحقّ في الّتعلم والتّحضر وامتلاك ثقافة متعالية، في مقابل اللامركزية؛ والتي يقصد بها الآخر المهمّش، التّابع الذي تعرّض لكل أشكال الاقصاء، والعنصرية والدونية، وهنا تستحضر كلاّ من ميشال فوكو، جيل دولوز، وغوتاري لتفضح أبعادهم الأيديولوجية في دفاعهم عن موضوع الغرب، وانحيازهم نحوه، في مقابل تغاضيهم عن الآخر، واختارت محادثة بين ميشال فوكو وجيل دولوز لمناقشتها في كشف تواطؤهم مع مسار الأيديولوجيا الغربية. حيث اعتبرت سبيفاك أن ميشال فوكو لم ينصف الانسان المقهور في المجتمعات المستعمرة حين ألغى حضوره، فهو بهذا يؤكد على فكرة الخطاب الاستعماري في تهميش دوره وحضوره، وقد شرحت ذلك بشيء من التفصيل حيث اعتبرت أن "فوكو أزاح الفرد البشري بكل ما في الكلمة من معنى، حين اعتقد بأن الأفراد المقهورين يمكنهم الحديث عن أنفسهم" (آنيا، 2007، ص 331) ، وهنا نتساءل؛ هل كان فوكو على دراية بما يحدث من اقصاء للآخر؟، لذا تلمّح سبيفاك لتورط فوكو في اسكات خطورة العنف الابستيمي للمستعمر الذي مورس على التابع، وغياب التركيز عليه، في مقابل التركيز على موضوع الغرب "إن تجاهل فوكو ودولوز للعنف الابستيمي الممارس من طرف الامبريالية، والتقسيم الدولي للعمل، سيكون أقل أهمية إذا لم يتطرقا في النهاية إلى قضايا العالم الثالث" (سبيفاك، 2020، ص 31)

ومنه يمكن ربط العلاقة بين الرغبة والسلطة والمعرفة في تمرير سياقات فرض ثقافة المركز، ومنح الشرعية للامبريالية الغربية، والرأسمالية العالمية في وضع قيود معرفية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية لفشل ظهور خطاب المقاومة والرفض الذي بدأت بوادره مع قانون تقسيم العمل الذي ألغى أدوار العمال البسطاء والموظفين والطبقات الوسطى في العالم الثالث من مشروعية حقها في الدفاع عن حقوقها، وتمثل هذا الاقصاء في فرض قوانين عنصرية، وتمثيلية، وأخرى لها علاقة بتقسيم طبقات الإنتاج بالاستعانة بما جاء به كارل ماركس في تقسيمه لطبقات المجتمع، وهو الذي قال: "إنهم يستطيعون تمثيل أنفسهم ولابد أن يتم تمثيلهم "وهذه فرصة للإشارة إلى التواطئ الغربي في نتاجاتهم الفكرية وعلى نحو ضمني عند كل من ماركس ودريدا، و في تهميشهم للآخر من نواح عدة، وذلك لخدمة المصالح الاقتصادية للامبريالية الغربية" (سبيفاك، 2020، ص14) وذلك من أجل الحفاظ والدفاع عن موضوع الغرب ومركزيته الكونية، ووضع الطبقة العاملة في بلدان العالم الثالث في خانة المهمشين، وهذا ما اعتبرته سبيفاك خيانة من طرف المثقفين الغربيين الذين اعتبرناهم لوقت طويل المنقذين والرافضين لخطابات الهيمنة والاقصاء

والغيرية.

ويعني ذلك؛ أن اقتصاد الرأسمالية أقصى العمال عبر تاريخ طويل من نضالهم تحت شعارات وهمية، وذلك لخدمة مصالحهم الاقتصادية، التي تعود على الرأسمالية الغربية العالمية بالإنتاج الوفير، في حين يبقى الآخر ينتظر شفقة من سيّده الأبيض الذي يعده بوعود زائفة بتسوية وضعيته في ابقائه قيد العمل، فهو هنا لخدمة أسياده، وتعتبر نظرية المصالح المشتركة بين الرغبة والسلطة والسيادة والمعرفة نقطة التقاءهم. وعبر هذا التاريخ الأيديولوجي للإمبريالية لم يتمكن كل من فوكو ودولوز من فضح هذا التيار المتناسق والمتعاقد مع بعضه، بتجاهلهما المتعمّد لرغبة الغرب في انتاج الرأسمالية، والمصالح الاقتصادية من خلال استغلال الآخر، وحرمانه من حقوقه، وهم بذلك يرفضون فكرة الاعتراف بأن الغرب متورط أيديولوجيا في قمع الآخر واستغلاله والهيمنة عليه.

وما يمكن استنتاجه أن سبيفاك قد ألقت الضوء على الفلاسفة الأوروبيين الذين حاولوا إزاحة الآخر؛ بحجة أنهم يعرفونه، وهذا التنكر متعمد والهدف منه؛ عدم الخوض في السياقات التاريخية الأيديولوجية التي سمحت للغرب باستغلال كل الطرق والوسائل في سبيل هيمنتهم اقتصاديا، وسياسيا واجتماعيا مع رغبتهم ومصالحهم.

2.2 فلسفة جاك دريداDerrida Jacques :

كانت بدايات تأثر سبيفاك بجاك دريدا لأول مرة عندما قامت بترجمة مقدمة كتابه أصول الكتابة Of Gramatology"؛ هذه المقدمة التي تركت تأثيرها الواسع على النقاد والباحثين، ومنحت لسبيفاك شهرة واسعة وسط السّاحة الأكاديميّة، كما عّدت من أهم من شرح تفكيكية دريدا في طريقة تقويضه لميتافيزيقيا الثقافة الغربية. وسنحت أيضا لبروز فكر التفكيك عند دريدا، والتي لم تكن أفكاره قد اشتهرت بعد، وهذا ما ساعد في بروزها في النقد الأدبي وفلسفته الأنجلوسكسونية (Morten, 2003, p 41-42) ومفهوم التابع على المنهجية التفكيكية الدريدية. واستندت على مقولاته ومفاهيمه من أهمها؛ الاختلاف الذي شرحت أبعاده في مقدمة الكتاب، فدريدا يحاول من خلال تفكيكه للنص الغربي الغاء فكرة التمركز لموضوع الغرب وذاته المتعالية التي فرضت خطابها الكولونيالي، وهمشت الآخر.

وتعترف باسفاك باعتمادها على "التفكيكية الدريدية ومحاولة تجاوزها، وتجد مورفولوجيته أكثر فائدة من تورط فوكو ودولوز الفوري والجوهري في القضايا السياسية، أما دريدا فقد كان مستوعبا لخطورة الآخر في استيلائه على المهمشين من أجل استيعابهم، ومن ثم تسييرهم" (سبيفاك، 2020، ص114) ومنه فقد استفادت سبيفاك من منهجية التحليل التفكيكي لتعيد قراءة الثنائيات الضدية بين المركز والهامش، الأنا والآخر، السيد والتابع، الأبيض والأسود، الرجل والمرأة، السلطة الذكورية، واقصاء المرأة، واهتمت بنقدها للعقل الميتافيزيقي، الذي وظفته في كتابها المعنون ب "نقد العقل الكولونيالي" وكشفت فيه عن الأنظمة المعرفية التي تتخفى خلفها الأيديولوجيات الخطابية التي تفرض سيرورتها في سائر النصوص السردية، التي حللت مدلولها بإعادة التمركز في الكتابة بدّل الكلام، لتقويض المقولات المسلم بها والتي أسست للخطاب الكولونيالي ومنها الثنائيات الضدية، والذات المتعالية وغيرها..

وما يميز تفكيكية جاد دريدا كاستراتيجية نقدية هو تفجيره للمفاهيم النصانية من الداخل، واعادة بنائها، لتفسير مدى التمركز الحاصل للثقافة الغربية، وكيفية هيمنتها وفرض حضورها على الآخر، فالخطابات السائدة المتموضعة في النصوص هي التي دعمت تمركز الذات الغربية في الخطاب الكولونيالي، وفي المقابل غيبت صوت التابعين من الطبقات الفقيرة والمهمشة لبلدان العالم الثالث.

3.2التابع "Subaltern"من غرامشي إلى غياتري سبيفاك:

تعود بدايات مصطلح "التابع Subaltern" إلى نهاية القرن السادس عشر، وبداية القرن العشرين والتي كان يعني فيها التابع رتبة عريف في الجيش البريطاني الذي يتبع الأوامر المسندة إليه وفق ترتيبه العسكري، وهذا يحيلنا إلى الطبقية التي تعكس تقديم المهام والأوامر من الأعلى إلى الأدنى مرتبة أو منزلة، لينتقل استخدامه في جانبه السياسي من خلال المفكر الإيطالي "أنطونيو غرامشي Gramci Antonio" والذي قصد به تلك الفئات المهمشة في مجتمعاتها، "حيث استعار دارسوا التابع المصطلح منه، ليعبروا من خلاله عن الطبقات المهمشة التي اندرج ضمنها الفلاحون والعمال والموظفين البسطاء، والنخب المحلية، وحتى السكان الأصليين" (سبيفاك، 2020، ص10) وأيضا العاطلين عن العمل والمرأة التابعة لذكورية الرجل، وما يعرف عن هذه الطبقات هو عجزها عن تمثيل نفسها، واعلاء صوتها في وجه الآخر المسيطر والمتحكم فيها؛ لذا فهو يقوم بتمثيلها، وهذا الدور يؤديه المستعمر بدلا عنه لإضفاء مشروعيته في تمثيل الآخر وتغييره نحو الأفضل.

وجه المنظر الماركسي أنطونيو غرامشي Gramci Antonio اهتمامه بالتبع وبشكل خاص في كتابه "مذكرات السجن The prison Notebooksوالذي ركز فيه على الطبقات المهمشة في المجتمع، التي كانت تابعة لطبقات مهيمنة عليها ومتحكمة فيها، وقد كتب هذه المذكرات أثناء تواجده في السجن بعد أن حوكم عليه بعشرين سنة سجنا بسبب معاداته للفكر اليساري في فترة الحكم الماسوليني.

لقد كان غرامشي مناضلا حقيقيّا ومحاربا لكل الأفكار الأيديولوجية، والأساليب القمعيّة بمختلف توجهاتها، ومن أهمها مفهوم الهيمنةHegemony ، حيث اعتبرها الوسيلة التي يتم ممارستها من طرف السلطة لترويض التابع، لكن يكمن نجاح هذه الهيمنة من خلال الأسلوب والطريقة التي يتم بها اقناع الآخر بحجة ممارسة الهيمنة عليه، وفي ذلك يشرح غرامشي بشيء من التفصيل أن الهيمنة التي اعتمد عليها الآخر هي نوع من الترويض العقلي لمجاراة المستعمر والقبول بأفكاره بحجة أنها ستخدم مصلحة الطرفين معا، وهذه الطريقة لقت نجاحا وفعالية، فالفلاحين والمزارعين وحتى التبع من الطبقة العاملة تم اقناعهم بأن تركيزهم على العمل الجاد والمتواصل سيضمن لهم استقرارا ماديا.

ولذا فإن غرامشي يرى بأن الطبقة الحاكمة للمجتمع المستعمر تسعى من خلال طريقة الاقناع المزيف إلى فرض رغباتها السلطوية على الآخر دون إدراك منه بمدى خطورتها، بل باستسلام تام وقبول. وهي بمفهوم آخر، طريقة انتحالية لتأكيد مشروعية السلطة الاستعمارية.

أما مفهوم التابع عند سبيفاك فتعود بدايات اهتمامها به؛ إلى فترة الحكم الاستعماري، وتاريخه الامبريالي، حيث تمكنت من خلال قراءتها لتاريخ المستعمرات الى نقد المركزية الغربية التي أهانت الشرق، وسعت بشتى الطرق لتمثيله، ولم تتوقف سبيفاك عند هذه الدلائل القمعية، بل حفرت في تاريخ الثقافة البريطانية في الهند التي حرفت مفهوم التابع، حيث اعتبرت ذلك نوعا من العنف الابستيمي الذي مورس من طرف القانون البريطاني الذي غيب الثقافة الشفوية للهند، وأبدلها بقوانين مكتوبة وفق السياسة البريطانية وتعطي هنا مثالا عما كتبه مكولي بقوله: "يجب علينا بذل قصار جهدنا في تشكيل ترجمان بيننا وبين من نحكمهم، حيث يصبح الهنود دما ولونا، ولكنهم انجليز في ذوقهم، وفكرهم وثقافتهم، وأخلاقهم" (سبيفاك، 2020، ص44) ومنه فإن تغير مفهوم التابع من الهامش إلى الصامت، هو نتيجة تطور سياق معرفي ابستيمي لتاريخ المشروع الامبريالي البريطاني حول التبع.

ومنه فإن انتقال التابع من الطبقات المهمشة والخاضعة عند غرامشي، إلى نفس الدلالة عند سبيفاك، يشير الى توسع مفهوم التابع ليشمل كل الطبقات المهمشة، لكن مع بعض الشروحات الخاصة بها في تحديد هذه الفئات المهمشة التي هي بالنسبة لسبيفاك غير قادرة على التعبير عن نفسها، فهي تندرج ضمن الهوامش الصامتة، ولذا هي تنعتهم مرة بالتوابع ومرة بالهوامش، وذلك ما دفعني بالعودة إلى المرجع الأصل"Can the Subaltern Speak " باللغة الإنجليزية وترجمته حيث تقول:" إن التابع هو فرد

يعيش ضمن مجموعة تعاني من التهميش، ولذا فهي غير قادرة على التحدث والمطالبة بحقوقها، فتارة ترى التوابع هوامش Margins ومرات تطلق عليهم مصطلح الصوامت؛ وهم بالنسبة لها كل الفئات من طبقة العمال والفلاحين من النساء الأميات والرجال، ويندرج ضمنها أيضا القبائل والقرى الريفية التي لم تصل بعد لسلك الحضارة"(pivak)

وبناء على ذلك نستنتج أن التابع عند سبيفاك يندرج ضمنه كل من النساء المضطهدات من طرف السلطة البطريركية، والعمال في المصانع، والفلاحين في المزارع، وكل من تعرض للتهميش من طرف مؤسسات كولونيالية مهيمنة عليها.

3.الساتي:

تحدثت سبيفاك عن الساتي من مبدأين اثنين أين عرجت في البداية على الجذور التاريخية لطقس الساتي، بالعودة لخلفيات القانون البريطاني الذي ناقض طقس الساتي ، ومنحها قانونا خاصا بها، حيث رأى أن طقس الساتي لا يعدو سوى ممارسة وحشية ضد المرأة الهندوسية من طرف الرجل الهندوسي، بل هو جريمة قتل، لإجبارها بحرق نفسها بحضور أسرتيهما معا باعتبار ذلك وفاء له، وهذه السلطة البطريركية التي سلّطت على المرأة الساتي اعتبرها القانون البريطاني جريمة قتل، وهو بذلك قد أجاز لنفسه التحدث بدل صوت المرأة الأرملة التابعة ضد العنف الممارس في حقها من طرف الرجل الهندوسي ابن جلدتها.

ولأجل ذلك اعتبرت سبيفاك أن الخطاب الاستعماري البريطاني قد استغل هذا الطقس لصالحه، "فإلغاء البريطانيين لطقس الساتي في الهند، قد فهم على أنه انقاض البريطانيين من الرجال البيض للمرأة السمراء الهندية من طرف رجال الهنود السمر" (سبيفاك، 2020، ص86) وفق هذا السياق استنتجت سبيفاك البعد الخفي لـلخطاب الاستعماري الذي استغل هذا الطقس لتبرير موقفه من استعمار الهند بحجة إنقاذه من طقوسه التي يمارسها بتخلّف وهمجّية، وأيضا لتمكينه من فرض سيطرته قانونيّا على حكمه السيّاسي، وتنفيذ هيمنته الثقافية والأيديولوجية على تاريخ الهند. ورغم التعبير الذي وكلّه الخطاب الاستعماري لنفسه بالتحدث كصوت بديل عن المرأة الساتي، هو في الحقيقة يعتبر خطابا موّكلا لاستعمار الآخر، وكأن هذا النسق المضمر الذي وضحته وفكفكة ملامحه الخفية سبيفاك مقارب لما طرحه ادوارد سعيد في كشفه للمهمة الحضارية التي نسبها الخطاب الامبريالي الغربي لنفسه حين استعمر الشرق ودول افريقيا وآسيا وأمريكا والهند...ولذا تعتبر سبيفاك أن استمرار الاستعمار البريطاني في الهند، كان حجّة إضافيةّ كحماية المرأة الهندوسية من طقس الساتي، فالرجل الهندي الأسمر لم يستطع حماية زوجته من نفسه، وجب من أجل ذلك تدّخل طرف ثالث لحمايتها منه.

ومنه ترى سبيفاك أن هذا الطقس كان بمثابة ذريعة لتغيير الثقافة الهندية والديانة الهندوسية والفيدية في الهند، لذا أصبح المجتمع الهندي في لحظة انبهار وتسليم بما تقترحه الثقافة البريطانية على المجتمع الهندي الذي يحمل بدوره ثقافات وديانات متعددة، وذلك ما جعل سبيفاك تدين طقس الساتي، ولكنها في الوقت نفسه تؤكد على أهمية الثقافة الهندية بطقوسها المختلفة. أما آنيا لومبا في كتابها نظرية ما بعد الاستعمار "توافق على اختيار سبيفاك لطقس المرأة المحروقة كصوت لتمثيل التابع فهي حسبها مناسب جدا، واختيار في محله" (لومبا، 2007، ص311) فبكشفها عن السياقات الثقافية والتاريخية التي استغلتها بريطانيا أتى طقس الساتي مناسبا لفضح سياستها الأيديولوجية.

أما المبدأ الثاني الذي انطلقت منه سبيفاك هو اعتبار صمت المرأة نوعا من خطاب الرفض الصامت عن حقها في الحياة التي حرمت منها باعتبارها لاتزال تحت سلطة الرجل رغم وفاته، وأن تلك الرغبة التي فرّضت على المرأة بحرق نفسها حيّة، ليست هي الرغبة الحقيقية لها، بل فرّضت عليها من قبل الزوج والسلطة البطريركية والمجتمع، ومن ثمّ تعتبر سبيفاك أن هذه الرغبة في الحقيقة مثلتها سلطات أخرى في نفس السياق مثل النّخب المثّقفة، والسلطة السياسيّة؛ ومنه فقد مارست عديد الخطابات سلطة تمثيل التابع، لكنها في الواقع لا تمثل صوت المرأة الساتي، بل تمثل نفسها وفق المصالح التي تدّعم رغبات حضورها.

ورغم كل ما ذكر فإن سبيفاك ترى أن المرأة التي تقوم بحرق نفسها في جنازة زوجها وهي على قيد الحياة هو تعبير صارخ عن حضورها الذي يقمع أمام أنظار الجميع، فالمرأة التابع تتكلم عبر فنائها للعالم الآخر، فالموت شكل من أشكال المقاومة، "ولذا تعتبر سبيفاك أن مقالها هو بمثابة إعادة قراءة للموقف الذي اتخذته المرأة التابعة بحقها الكلام بكل ما أوتيت من قوة، لدرجة حوّلت فيها انتحارها الملعون إلى رسالة، ولم أكن لأتخيل موقفا جريئا كهذا أكثر تعبيرا عنها" من المقال ص9. كما أن حرق المرأة لنفسها أمام مثيلاتها من النساء له تحليل نفسي آخر عليهن؛ يحرض في ذهنهن فكرة مفادها أنّ فكرة الزواج والانجاب ما هي إلا انتظار لأجلهن المقيّد بوفاة أزواجهن؛ هو خطاب يبعث لإقصاء دورها كزوجة وأم وبحثها عن شريك حياة، مادام الموت سيكون في النهاية هو مصيرها.

ولطقس الساتي دلالات أخرى تركت تأثيرها في بعض المجتمعات الهندية؛ ففي البنغال مثلا كانت تغرس في فكرهم فكرة انتحار المرأة ليس بسبب الوفاء لزوجها، وانما مخافة امتلاكها لثروات زوجها بعد وفاته، "ولأجل ذلك تعتبر سبيفاك أن انتشار طقس الساتي في الثقافة البنغالية، يعود لسبب آخر عدم منح المرأة حقها من الميراث والممتلكات التي يتركها زوجها، ولذا فهي ترى أن ما يروج له البريطانيون على أنّ المرأة ضحية، هو في حقيقة الموضوع ساحة معركة أيديولوجية" (سبيفاك، 2020، ص90) لأخذ الثروة التي من المفترض أن للمرأة الأحقية الكاملة فيها وهذا ما كانت تؤيده الثقافة البريطانية في الهند، وهي استمرار لممارسة صورته النبيلة في الدفاع عن صوت النساء المهمشات بدمجهم في الثقافة الغربية المتحررة والداعية لحماية حقوق المرأة، التي هي في الحقيقة ليست سوى استعمار ثقافي لعقولهن وتذويبها في الفكر الغربي وجذبها لاتباع ثقافتهم، واعتباره المنقذ لصوت المرأة، وفي المقابل هو نوع من التحايل مع المرأة الهندية ضد موطنها الهند؛ فاعتبار طقس الساتي اقصاء للمرأة لم يعد ضمن إطار الخرافات والأساطير، بل أصبح كنوع من النسق المضمر الذي يؤجج لسياق إيديولوجي تم استثماره من طرف الثقافة الغربية لترويج حملتها الإمبريالية نحو ثقافة الهند التي أقصت حضور المرأة وهذا ما شكل في عقلها نوعا من الاضطراب الوجودي، والهشاشة النفسية بين حضورها وغيابها.

4.النخبة المثقفة متحدثة بصوت التابع:

اهتمت دراسات التابع بمختلف روادها وعلى رأسهم رناجيت جوها بتاريخ التبّع المهمشين؛ وذلك بإعادة قراءة تاريخ الهند الرسمي الذي كتب من طرف النخبة والمؤرخين الموالين للنظام البريطاني وسياسته الاستعمارية، بإقصائهم لطبقة العمال والفلاحين، وصوت المرأة في الهند، أين تطرق لمصطلح التابع بحضور النقيض المغاير له وهو الطبقة المثقفة-النخبة- أي أن التابع لم يتحدث بصوته؛ بل مثلت صوته الطبقة النخبوية الذين حددهم رناجيت جوها بالطبقة المساندة للإمبريالية. وقد وضح على أن النخبة المثقفة التي كانت مؤيدة للثقافة الاستعمارية لم تقتصر فقط على المستعمرين الأوروبيين، بل اشتملت على النخبة الأصلانية من المجتمعات المستعمرة التي تمكنت بفضل ارتباطها بمصالح الثقافة الاستعمارية من البقاء تحت لوائها والدفاع عن مقولاتها وسردياتها التمثيلية للتابع، بالإضافة الى تلك الطبقات الثرية من المجتمع والتي لها قوة اقتصادية وسياسية تمكنها من فرض سيطرتها على مجتمعاتها المستعمرة لتحقيق مصالحها الذاتية مع المستعمر.

وفي المقابل ارتكز اهتمام سبيفاك على تفكيك الخطاب الاستعماري المهيمن على التّابع، في محاولة جادة لفضح أليات السلط والتهميش التي مورست من طرف المركزية الغربية عليه، ومن خلال مقارباتها النقدية التفكيكية كشفت عن مختلف الأبعاد الثقافية والسياسية والاقتصادية للإمبريالية الغربية وبشكل خاص الإدارة البريطانية في الهند، حيث اتجهت إلى إعادة قراءة تاريخ التابع في الهند ونقدها لطريقة تمثيله، والذي تمّ فيها تهميشه من طرف النخب في المجتمع الهندي الذي سيطرت عليه الثقافة البريطانية .

وبناء عليه؛ تشرح سبيفاك الأسباب الخفية في عدم حضور صوت التابع، واعتبرت أنّ ذلك يعود للقيود التي وضعت له سابقا، والمتمثلة أولا في الظروف التي عانى منها التابع ، وثانيا؛ عدم وعيّه الكافي بما يحاك حوله من تمثيل وهيمنة وقيود فرضت عليه، وأصبحت بالنسبة له جزء من حياته اليومية وتاريخه الثقافي الذي تمّ تزويره في الهند من طرف السياسة الاستعمارية البريطانية."وهذا التجاهل للتابع من طرف المؤسسة الامبريالية طوعا أو كرها هو استمرار للمشروع الامبريالي" (سبيفاك، 2020، ص83) وينطبق الأمر نفسه على باقي طبقات المجتمع المهمشة كالفلاحين وأصحاب الأيادي العاملة الذين يتم استغلالهم كأدوات قوى اقتصادية لخدمة الرأسمالية الامبريالية والاقتصاد العالمي. وهذه العراقيل التي توصلت إليها سبيفاك كانت سببا في عرقلة الفهم الحقيقي لتجارب ومعاناة التبع، مما أوقعهم في تحد كبير بينهم وبين وعيهم أولا، وبين الآخر ثانيا.

ومنه؛ تعتبر سبيفاك أن السلطة كانت ولاتزال مسؤولة عن تمثيل التّابع في صورته المشوهة، المتواطئة مع الآخر فالتابع لا يمكنه التكلم بحرية مادام محروما من التعبير عن حقيقة ما يحدث اتجاهه من هيمنة وتسلط وتهميش واسكات لصوته الحقيقي، بسبب القيود المفروضة عليه من السلطة واللغة والثقافة والتاريخ وتعتبر تلك القيود التي فرضت عليه هي السبب الرئيسي في عدم إدراك صورته الحقيقية للعلن.

ورغم كل هذه العراقيل تصّر سبيفاك على ضرورة تمثيل الفئات المهمشة لأنفسهم، خاصة بعد كشف الهيمنة الامبريالية وخطاباتها الكولونيالية عليهم، والتي أخفت نسقا مضمرا حول استغلال نسق الجندر، العرق، الزنوجة ووهم الملّون في الاعلاء من قيمة الحضارة البيضاء وطمس وتشويه الحضارة الهندية بكل مقوماتها الهوياتية وتراثها الثقافي، ولهذه الأسباب ظل ولسنوات طوال صوت المهمشين غير مسموع بسبب الأيديولوجيات الصامتة التي قمعت صوت الاستنطاق والكتم، تحت شعارات الحرية والعدالة وحماية المرأة.

واذا كانت النخبة المثقفة حسب غياتري قد سعت الى تمثيل التابع، فذلك لا يعدّ سوى صورة مشوهة عنه؛ فقد تم الكشف عن تواطىء النخبة المثقفة المؤيدة للاستعمار؛ وذلك من خلال غموض كلامها الذي امتزج بالرومنسية القومية، والنقاء، والحب لهؤلاء النساء المضحيات بأنفسهن" (سبيفاك، 2020، ص95) ؛ بل هذا التمثيل خاص بمصالحهم من المقال ولذا سيعود التابع لنقطة الصفر؛ وهو عدم إمكانية الكلام عما يريده، ولهذا تقترح سبيفاك حلولا بديلة وهو أن تتمكن المرأة التابع من خلق ثقافة تعبر عن حياتها ومتطلباتها، لكن عن طريق خطاب مكتمل الوضوح والرؤية، ولا يتم ذلك في ظل الأميّة والتخلف التي تعيشه هذه الطبقات- المرأة، العمال، الفلاحين- التي غالبا هي لم تقرأ ولم تكتب، وهذا ما نلاحظه فعليا في الهند، فالطبقات المهمشة هي غالبا لا تملك أياّ من أدوات المعرفة البسيطة التي تمكنهم من الدراسة في المدارس والجامعات. ولذا فهي لم تتمكن من تشكيل المعرفة التي تعتبر من أدوات فرض حضورها ومقاومة تهميشها من السلطة الأبوية في الهند أولا، ومن طرف الثقافة الاستعمارية البريطانية ثانيا.

كما تقدم سبيفاك حلا آخر "وهو أنّ على المثقفين الكشف عن خطاب مجتمع الغرب ومعرفة نواياه الخفية، وأنساقه الأيديولوجية، وعلى المثقفين الغربيين وغيرهم والذين هم متورطين بشكل شخصي في هذا التاريخ الفكري والاقتصادي" ص16 من المقال. المؤسس للخطاب الاستعماري وتعترف أن الحل لا يكمن فقط في منح الفرصة للتابع بأن يتكلم ويعبر عن حقيقة ما يعيشه من اضطهاد ونكران لصوته. بل على النخبة المثقفة المشاركة بفعالية؛ بتركيزها على إشكالية "المرأة الهندية" والمرأة في بلدان العالم الثالث، وتعود بنا غياتري الى إشكالية اللون والجندر التي استغلت ضد نساء العالم الثالث، وإلى التقسيم الطبقي للإمبريالية في تحديد طبقات المجتمع التي استبعدت فيها طبقات المهمشين من الفلاحين والعمال والنساء خاصة، ولذا تطالب سبيفاك من تمكن المرأة وإدراكها بأهمية الوعي لما يحدث من تهميش واقصاء لها؛ عن طريق فهم الخلفيات الثقافية والاجتماعية والأيديولوجية للتحيّز الطبقيّ الذي حددّ مسبقا بسبب لون البشرة، العرق، الجندر. وهذا التحيز الذي تولت السلطة الامبريالية

واليسار الغربي بدعمه وتأييده.

وفي هذا السياق كان على المثقف أن يقوم بدوره في كشف حقيقة الخطاب الاستعماري بمختلف الأدوات النقدية والرؤى الفكرية، والثقافة المضادة؛ لمقاومة المد السردي للخطابات الكولونيالية السردية الذي ظل صوتها مقموع تاريخيا؛ لذا ركزت سبيفاك في تحليلها للخطابات الاستعمارية على السياق التاريخي للمستعمرات، والتي طالبت فيه بتقديم نظرية نسوية خاصة بالمرأة الهندية كما هو موجود في النظرية النسوية الأمريكية، فهي متعاطفة " مع الحركة النسوية الأمريكية كنظرية، رغم أنها لم تحل من خلال البحث الماهوي عن الجذور الضائعة، وأن خدمتها لم يعد الحل فيها بالدعوة إلى المزيد من النظريات" (سبيفاك، 2020، ص16)بل في فرض خطاب أقوى من الخطاب الثقافي الاستعماري الذي تمثلته النخبة ولها دور في تعميمه وتأكيده.

ولتكشف لنا سبيفاك بشيء من التفصيل عن كل الأنساق الثقافية المضمرة للخطب الاستعماري تعود بنا الى فكرة التمثيل الاستعماري لطقوس حرق النساء لأنفسهم في الهند وهو الطقس الذي عرف بالساتي Sati وهو حرق المرأة لنفسها وفاء لزوجها المتوفي؛ من خلال إعادة قراءة التاريخ المؤسس لهذه الأفكار بدء بالحضارة الهندوسية والكتب الدينية التي تواطأت هي الأخرى في اسكات صوت المرأة، والحاقها بصوت الرجل المهيمن عليها، بالإضافة الى السلطة البطريركية التي تتمتع بها الهيمنة الذكورية، ولذا فقد تضافرت جهود عديدة منها الهيمنة الثقافية، والسلطة الأبوية، والتقاليد الدينية، والخطابات الامبريالية، كل ذلك أدى إلى اسكات صوت المرأة، وتمثيل صوتها بمن ينوب عنها من النخب الثقافية، والمؤسسات الدينية، والقوانين الأخلاقية. وكل هذه السياقات التاريخية والثقافية والامبريالية ساهمت في رسم حدود للتابع، مما جعله غير قادر على تمثيل نفسه والتعبير عن صوته بكل حريّة ودون قيّود مفروضة عليه، اندمج معها ولم يستطع الخروج عنها بسبب السياسات الاستعمارية، فصوت التابع سواء المرأة أو طبقة الفلاحين أو العمال مرهون بثقافة سلطة المستعمر التي منحته الحرية في مقابل التمثيل.

ومن أجل ذلك تعتبر سبيفاك أن طرح السؤال حول أهمية وعي المرأة التابعة بهذه الفروقات الجنسية (ذكر-أنثى) أو الطبقية (أسود-أبيض) ضروري لفهم المخطط الإمبريالي الذي يعكف على اختزال دور المرأة التابعة في طاعة الزوج والإنجاب والعمل المقيد، ولذا فإن اغفال النخبة المثقفة لكشف المخطط الامبريالي، ومنع المرأة من حقها في الكلام هو تواطئ مشترك بين نخبة المثقفين الهنود والاستعمار البريطاني.

ورغم كل ما قامت به الناقدة ما بعد الكولونيالية سبيفاك إلا أنه تم توجيه انتقادات لها؛ بسبب نظرتها السلبية للتابع وهو عدم قدرته على الكلام، أي اسكات التابع، ولكن قد يتعذر فهم حقيقة ما تربوا إليه سبيفاك بأن التابع لا يستطيع الكلام؛ وبحسب رأيي فإن سبيفاك تشير في هذا المقام وفي شرحها لصمت التابع، هو عدم قدرته على انشاء خطاب مضاد وفق الثقافة الغربية للرّد عليها، وهنا نستنتج أن سبيفاك ليست ضدّ الكلام، بل هي تريد أن يكون هناك خطاب يخضع لضوابط الثقافة الهندية، ويشرح بشكل معمّق في خطاب له معنى ورؤية ومقصدية، ولذا فالتحدث موجود حول التابع، لكن كيف يمكنه التحدث وفق خطاب مضادّ له قوّة حضور توافق قوة حضور الآخر في الخطابات الكولونيالية للرد عليها.

وبناء عليه؛ فإنّ المرجّح هو ألا يتمّ القول بأنّ التابع لا يستطيع الكلام، بل التابع لا يستطيع أن يقول ما يتقبله المجتمع، فالمجتمع لا يستمع للتابع حتى وان تكلم، وهو غالبا لا يستمع للفقير، أو لذوي الطبقة الاجتماعية المتوسطة، في حين سيستمع لصاحب النفوذ المادي والسلطة الحاكمة مخافة العقوبة، لأن كلامه قد يحّدد مصيره ومكانته داخل المجتمع .ومنه؛ فالتابع هو ذلك الشخص الغير قادر على خلق وتوليد خطاب له رؤية واضحة حول هوّيته الذاتيّة والقوميّة، وله مقصدية من كلامه الذي سيكون بمثابة تأسيس لحضوره الفعلي داخل مجتمعه وخارجه، خطاب له مقصدية حول رغباته الخاصة ومصالحه.

5.الخاتمة:

يعتبر مقال "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟" للناقدة غياتري شاكرافورتي سبيفاك إعادة قراءة لخطابات تمثيل التابع من

طرف السلطة والثقافة التي فرضت قيودها منذ بدايتها الأولى للاستعمار على صورة وصوت التابع؛ من خلال تشويهها التاريخي الفكري والحضاري والانثروبولوجي للهند، ولكل البلدان المستعمرة التي وجدت نفسها مقيدة بأسوار الثقافة واللغة والسلطة والهيمنة. ومنه تتساءل سبيفاك هل حقا آن الأوان للتابع أن يتكلم بصورته الحقيقية؟ ومن خلال إعادة قراءتها للتاريخ الاستعماري الذي أعاد تمثيل الآخر وفق ما يخدم مصالحه الامبريالية ومساعيه الأيديولوجية، تؤكد غياتري سبيفاك أن السلطة الاستعمارية الغربية، والثقافة الهندية الموكلة لخدمة الآخر؛ مسؤولة بشكل مباشر أو غير مباشر في العنف الابستيمي الذي مّر به صوت التابع، والذي تم تمثيله بصورة خاطئة قّيدت من حرّيته وحجبت صوته الحقيقي عن العالم.

ومنه ترى سبيفاك أن الشعوب المستعمرة حتى وان سمحت لها الفرصة للتحدث فهي لا يمكنها التحدث بصوتها الحقيقي، وذاتها الأصلانية، لأنّ النخبة من المثقفين تحدثت بصوتهم، وبدلا عنهم، وذلك الخطاب لا يعتبر خطابا حقيقيا، لأنه في الأصل خطاب تابع للثقافة الامبريالية وممثلا عنها؛ فوعي التابع قد مثلته النخب، ولم يمثله صوت التابع الأصلاني، لأن الخطاب الثقافي البريطاني توسع في الهند، وفرض أفكاره الامبريالية من خلال نشر ثقافته الأصلانية على الشعب الهندي وبثها في جذوره الفكرية، وأصبحت الثقافة البريطانية هي الواجهة الحقيقية للثقافة الهندية، أين تم إعادة كتابة تاريخ الهند وفق الطبقات المثقفة النخبوية.

وبمّا أنّه لا يمكن التّحدث بإنصاف في مكان التابع، فيفضل أن يتم خلق جو وظروف مواتية تفسح له المجال للتحدث عن نفسه، ودون وضع قيود له، مع الاخذ بعين الاعتبار خروجه من تبعية خطاب الآخر التي ظلت راسخة في الخطاب التاريخي للهند، ولكي يتم تجاوز ذلك؛ يجب بداية معرفة الظروف التي تركت التابع يصمت، فهي تعتبر ظروف هذا الصمت نوع من خطاب المقاومة الذي يجب أن نتعلم منه، ولذا فالتابع قبل أن يتكلم كان قد مر بظروف صعبة حالت دون إمكانية استنطاقه رغم رغبته الدفينة في ذلك. ومعرفة الخلفيات القمعية التي عاش فيها التابع أمر ضروري؛ لتحديد كيفية المقام الذي يجب أن يساعده على الكلام.

قائمة المصادروالمراجع:

1.المراجع الأجنبية:

1) Morten, S. (2003). *Gayatri Chacravorty Spivak.*
2) pivak, G. S. (n.d.). *Can the Subaltern Speavak.*

2. المراجع باللغة العربية:

1) أزراج عمر. (2023). *في النقد ما بعد الكولونيالي* (الإصدار 1). الجزائر : دار اسكرايب.
2) آنيا لومبا. (2007). *في نظرية الاستعمار ما بعد الاستعمار الأدبية*. (محمد عبد الغني غنوم، المترجمون) سورية : دار الحوار للنشر والتوزيع.
3) غياتري تشاكرافورتي سبيفاك. (2020). *هل يستطيع التابع الكلام* (المجلد 1). (خالد حافظي، المترجمون) المملكة العربية السعودية، صفحة 7 للنشر والتوزيع.